

وَتَسْعَ، حَتَّى تَعُمُ الْأَرْضَ جَمِيعَهَا. مَا أَحْلَى أَنْ تَرَى النَّاسَ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْأَرْضِ يُصَلِّونَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَحْدَهُ، وَيَهْتَفُونَ مِنْ قُلُوبِهِمْ هَذَا الْهُتْافُ الْجَلِيلُ! اللَّهُ أَكْبَرُ ... اللَّهُ أَكْبَرُ. وَانْتَهَتِ الصَّلَاةُ، وَانْتَهَى الطَّوَافُ وَالسَّعْيُ، وَمَضَيْنَا إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ. هَا هُنَا رَأَيْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرَ يُعَذَّبُ عَذَابًا يَهْدُدُ الْجِبَالَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَهُدُ الرِّجَالَ. هَا هُنَا رَأَيْتُ كُفَّارَ قُرَيْشٍ يَغْطُونَهُ فِي الْمَاءِ، لِيَفْتَوِهُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَيَزِيدُونَهُ إِيمَانًاً.

(٥) هاهُنا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُنْظَرُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى الْأَرْضِ، وَيَقُولُ: « صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ .. أَبْشِرُوا قَائِمَ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةَ ». هاهُنا رَأَيْتُ يَاسِرًا يُقْبَلُ عَلَى الْمَوْتِ، كَانَهُ مُقْبِلٌ عَلَى بُسْتَانٍ.

هاهُنا رَأَيْتُ أُمَّهُ (سُمَيَّةَ) تُقْبَلُ عَلَى الْمَوْتِ، كَانَهَا تَذَهَّبُ إِلَى عُرْسِنِ أَدَيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ فِي الْحَرَمِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يُؤْدِونَهَا فِي مِثْلِ عَدَدِ الَّذِينَ أَدْوَا صَلَاةَ الْمَغْرِبِ أَمْسِ، بَلْ رُبَّمَا كَانُوا أَكْثَرَ عَدَدًا. مَا أَبْعَدَ الَّذِينَ يَتَهَمُّمُونَ الْمُسْلِمِينَ بِالْكَسْلِ عَنِ الصَّوَابِ، وَمَا أَنَّهُمْ عَنِ الْحَقِّ. إِنَّ هَوَّلَاءِ الَّذِينَ يَسْتَيْقِظُونَ عِنْهُ الْفَجْرِ، فَيَهْجُرُونَ أَسْرَرَهُمْ وَيَتَوَضَّوْنَ، وَيُسْرِعُونَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيُؤْدِونَ الصَّلَاةَ؛ يَسْجُدُونَ فِي خُشُوعٍ، وَيَرْكَعُونَ فِي خُشُوعٍ، ثُمَّ يَمْضُونَ إِلَى أَعْمَالِهِمْ فِي نَشَاطٍ وَسَعَادَةٍ. لَقَدْ أَدْوَا حَقَّ رَبِّهِمْ عَلَيْهِمْ وَمَضَوْا لِيُؤْدِوْا حَقَّ الْحَيَاةِ. وَتَعَالَى صَوْتُ الْمُؤْذِنِ . سَمِعْتُ بِلَالًا يُرْسِلُ صَوْتَهُ الْعَذْبَ الْقَوِيَّ، فَيَصُبُّهُ دِمَاءً فِي قَلْبِ الْلَّيْلِ، فَيَطْلُعُ الْفَجْرُ أَحْمَرَ زَاهِيًّا لِبَّيْنِ نِدَاءَهُ. لَيْسَ الْمُسْلِمُونَ كُسَالَى، وَلَيْسُوا مِنْ يَرْضُونَ الدُّلُّ وَالْهَوَانَ. وَمِنْ هَذَا الْحَرَمِ، وَمِنْ جَوَانِيهِ، خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ لِيُسْمِعُوهُ كَلِمَةَ اللَّهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَقَدْ سَمِعَ الْعَالَمُ كَلِمَةَ اللَّهِ، وَلَبَّاهَا فِي كُلِّ بُقْعَةٍ مِنْ بَقْاعِ الْأَرْضِ. وَالْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ فِي حاجَةٍ إِلَى أَمْثَالِ أُولَئِكَ الرِّجَالِ، الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَأَتَرْعَوْا أَرْجَاءَ الْعَالَمِ إِيمَانًاً وَنُورًاً.

(٦) هُنَا سَمِعْتُ أبا بَكْرَ الصَّدِيقَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَقَدْ ارْتَدَتِ الْعَرَبُ؛ إِمَّا عَامَّةً إِمَّا خَاصَّةً، فِي كُلِّ قَبْيلَةٍ. وَنَجَمَ النُّفَاقُ، وَاشْرَأَبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ كَالْفَنَمِ فِي الْلَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ الشَّاتِيَّةِ، لِفَقِدْ نَبَيِّهِمْ ﷺ وَقَلْتِهِمْ، وَكَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ. وَقَالَ لَهُ النَّاسُ، وَقَدْ أَمَرَ جَيْشَ أَسَامَةَ بِالْمَسِيرِ: إِنَّ هَوَّلَاءَ جُلُّ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعَرَبُ - عَلَى مَا تَرَى - قَدْ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُفَرِّقَ عَنْكَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ. هُنَا سَمِعْتُ أبا بَكْرَ يَقُولُ بِصَوْتِهِ الْهَدَارِ بِالْإِيمَانِ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي بَكْرٍ بِيَدِهِ، لَوْ ظَنَنتُ أَنَّ السَّبَاعَ تَتَخَطَّفُنِي، لَأَنْفَذْتُ بَعْثَ أَسَامَةَ، كَمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَوْ لَمْ يَبِقَ غَيْرِي فِي الْقُرْيَ لَأَنْفَذْتُهُ. هُنَا رَأَيْتُهُ، يُشَيِّعُ جَيْشَ أَسَامَةَ، وَهُوَ مَاشٌ، وَأَسَامَةُ رَاكِبٌ، فَقَالَ لَهُ أَسَامَةُ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَتَرْكَبَنَّ، أَوْ أَنْزِلَنَّ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا تَنْزِلُ، وَوَاللَّهِ لَا أَرْكِبُ.

(٧) وَمَضَيْتُ إِلَى الْبَقِيعِ، وَوَقَفْتُ أَمَامَ أَسْوَارِهِ وَجُدُرِهِ مُتَسَائِلًا؛ أَيْمَكِنُ أَنْ تَغْصَ مَقْبَرَةً مِنَ الْمَقَابِرِ فِي الْعَالَمِ بِأَمْوَاتٍ أَكْثَرَ شَرَفًا وَبُطْوَلَةً وَعَظَمَةً مِنْ هَوَّلَاءِ الْأَمْوَاتِ مِنْ الشَّهِداءِ وَالْعَظِيمَاءِ؟ كَانَتِ الْقُبُوْرُ بَسِيَّةً، أَكْثُرُهَا تُرَابِيٌّ دَارِسٌ، لَمْ تَكُنِ الْقُبُوْرُ مِنْ رُخَامٍ وَلَا مَرْمَرٍ، وَلَمْ تَكُنْ هَيَاكِلٌ شَاهِيَّةً، وَلَا مَدَافِنٌ

رائعةً مُزخرفةً، بل كانت قبوراً بسيطةً، من ترابٍ وحصىً.

(٨) ومضيَت إلى جبل أحد، إلى الجبل الذي يحبنا ونحبه. هاهنا دارت المعركة. من هذا الفج في الجبل، أقبل خالد بن الوليد بفُرسانه، ليحارب المسلمين الذين تركوا مواقعهم، بعد أن بانت علامات النصر، وخالقوها أمراً رسول الله ﷺ. هاهنا، وراء هذه الصخرة، رأيت وحشياً يكمن لسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه -. قال وحشى: (والله إني لأنظر حمزة يهد الناس بسيفه، ثائر الرأس، ما يلقى شيئاً يمر به، مثل الجمل الأورق. وكنت كامناً تحت صخرة، لا يراني، وهزت حربتي، حتى إذا رضي عنها، دفعتها عليه. فأقبل نحوى، فغلب فوقي. وأمهلته حتى إذا مات، حيث فأخذت حربتي، ثم تتحجى إلى المعسكل).

هاهنا رأيت هنداً تجدع آذان الشهداء وأنوفهم، وتجعلها خداماً (حلقات) وقلائد، ورأيتها تبقر عن كبد حمزة، وتلوكها فلم تستطع أن تسيغها فلاظتها. ورأيت قبر حمزة - رضي الله عنه - رمزاً للشهداء والدفاع عن دين الله، قبل متواعضاً في باحة جرداة. لقد رقد الذي كان يهدى كالجمل الأورق في حفرة من تراب. هاهنا كان رسول الله ﷺ يخطئ الخندق، ويشترك في حفره، ويكسرك صخوره، ويحملها على ظهره الكريم.

(٩) قمت بوداع المدينة المنورة، وتضررت إلى الله أن أعود وأعود، ورجعت بالطائرة. ومددت عيني إلى أطراف الحجاز والشام. هنالك تختلط حدود الشام والحيجاز، وهناك تقوم موتة. ورأيت جعفر بن أبي طالب يحارب الروم؛ يقتلهم ذات اليمين، وذات الشمال، ثم يتکاثرون عليه فيقطعون يمينه، فيضربونه بسيوفهم حتى قطعوه نصفين. وأقبل المسلمون عليه، فوجدوا فيما بيقي من بدنه تسعين ضربة، من طعنات برمج، وضربات سيف. ونظرت إلى جناحيه مضرجين بالدماء، يطير بهما في السماء اللون لون الدم، والريح ريح المسك. عدت من الديار المقدسة، بعد قضاء العمرة، بقلب جديد، وإيمان وطيد بالنصر. واستقبلني صديقي، وحدثه بما رأيت ووعيت، فإذا الصديق الذي استغرب بالأمس سفري يقول: غداً - إن شاء الله - سأشد الرحال إلى مكة المكرمة، لأداء العمرة، وللأرى أرض أجدادي التي أنبتتني رمالها.

(عبد المعين الملوي يتصرف يسير من المجلة العربية)

# الْوَحْدَةُ

## الثالثة عشرة

آثار الثقافة الإسلامية	القراءة المكثفة
الجمع	القواعد (أ)
أقلياتنا في أوروبا وأمريكا الشمالية	فهم المسموع (القسم الأول)
أقلياتنا في أمريكا الجنوبية وأستراليا	فهم المسموع (القسم الثاني)
المشتقات	القواعد (ب)
المجانين	القراءة الموسعة

## آثار الثقافة الإسلامية

كان من آثار الثقافة الإسلامية الأصلية، أنها قدمت للنحو الإنساني جديداً في كل جانب من جوانب نشاطه. تتمثل هذه الثقافة الأصلية على الكتاب والسنّة، وعلى نظرية الإسلام إلى الإنسان وتكريمه. لم تُسمِّهم أي أمّة من أمم الأرض بقدر ما أسمَّهم المسلمون في التقدُّم البشري خلال عصر ازدهار العلوم عند العرب والمسلمين. وظلت اللغة العربية لغة العلوم والأداب، والتقدُّم الفكري عِدة قرون في جميع أنحاء العالم المتقدّم آنذاك.

لقد نشأت الحاجة عند المسلمين إلى التعرُّف إلى القرآن، وسيرة الرسول - ﷺ - وأصول هذه المعرفة، فظهرت علوم التفسير والسيرة وعلم الرجال. ونشأت الحاجة إلى التشريع، فظهرت علوم الفقه والأصول. وطمح المسلمين إلى مزيد من التعرُّف إلى أحوال الكون؛ لِسخريَّه، وأعماريَّه، فظهرت العناية بالعلوم التجريبية والمجربة كالرياضيات والفلك والكيمياء.

إنَّ المنهج العلمي التجريبي، الذي تدين له الحضارة الحديثة بما وصلت إليه من كشف واحتراع، يُعدُّ أحد مُنجذبات المسلمين. فقد كانت الحضارات القديمة وخاصة اليونانية، التي عرفها المسلمون أكثر من غيرها، تجهل الطريقة التجريبية وتحتقرها، ولا تُعنى إلا بالدراسات النظرية المجردة. وكان الفلك والرياضيات أول العلوم التي لفتت أنظار العلماء المسلمين، حتى لقد تَعَدَّ الاهتمام بالفلك العلماء أنفسهم إلى الخلفاء والأمراء والسلطانين.

أما في الرياضيات فقد اكتشف العلماء المسلمين الكثير من المبادئ الأساسية للحساب والجبر والهندسة. إن الجبر - على أغلب الأقوال - من احتراع المسلمين، وإن الأعداد وطريقة العد التي تستعمل فيه حتى الآن من احتراع إسلامي. وحين نذكر إسهام المسلمين في الرياضيات، والصفر بصورة خاصة، لا نستطيع أن ننسى رئيس بيت الحكمة الخوارزمي، وما أسمَّه به في علم الجبر. وإذا كان غير المسلمين قد سبقوا إلى دراسة الفلك والرياضيات، فإن المسلمين قد أوجدوا علم الفيزياء، ولا شك أن كتاب البصريات لابن الهيثم، يُعدُّ من أهم مُنجذبات العلماء المسلمين في هذا الفرع من العلوم؛ فقد كان بداية علم الضوء والمرئيات الحديث. ويدلُّ على اثر المسلمين في هذا العلم، أنَّ كثيراً من المصطلحات المستعملة فيه حتى الآن من أصل عربي. ومن الاحتراعات التي كانت ذات ذات فائدة كبيرة في الصناعة: ملْحُ البارود، وصناعة الورق من القطن والكتان والحرق.

أما الطُّبُّ فقد كان مجال عنایة فائقة منهم. ولعل ذلك أحد الدلائل على عنایة المسلمين بالإنسان وجميع مُتطلباته. وكان للأطباء المسلمين أثرٌ هُم البالغ في الدراسات الطبية، وطريقة المعالجة في الغرب، فقد ظلَّت مؤلفات الرازى، وابن سينا وابن رُهْر أساس الدراسات الطبية في الجامعات الأوروبية قروناً عديدة. أما ابن سينا فلا شك أنه كان أعظم طبيب عرفه العالم في زمانه، وقد استعمل كتابه القانون في الطب في الجامعات الإيطالية والفرنسية، طيلة ستة قرون كاملة؛ أي من القرن الثاني عشر إلى القرن الثامن عشر الميلاديَّين.

أما في ميدان الدراسات الجغرافية، فقد بَرَزَ المسلمون بُروزاً واضحاً. وفي زمان المؤمن رسم الخوارزمي، ومساعدوه خريطة للسماء والأرض، وقاموا بمحاولة ناجحة لقياس محيط الكُرة الأرضية، ثم صنعوا الإدريسي كُرة سماوية وخرائطه للعالم، وكان من أبرز ما وصل إليه أنه رسم خريطة للنيل، أبْرَزَ عليها مَنابع النيل الأصلية التي اكتشفها الأوروبيون بعد ذلك.

(معالم الثقافة الإسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان، بتصريف)